

لِيَشْتَرُوا بِوَيْهٍ ﴿١٤٤﴾ أَي لِيَأْخُذُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمُقَابِلَةِ الْكِتَابِ الْمَحْرُوفِ ﴿ثُمَّ نَأْتِيهِمْ﴾ أَي عَوْضًا يَسِيرًا مِنَ الدُّنْيَا - وَهُمْ الْيَهُودُ - غَيْرَ وَاصِفَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ وَأَيَّةَ الرَّجْمِ وَغَيْرِهَا . . . فغَيْرَ وَأَيَّةَ الرَّجْمِ بِالْجِلْدِ وَالتَّحْمِيمِ أَي تَسْوِيدِ الْوَجْهِ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ أَي فَشْدَةُ الْعَذَابِ لَهُمْ ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أَي فِيمَا غَيْرَ أَيْدِيهِمْ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٤٥﴾ أَي يَصِيبُونَ مِنَ الْحَرَامِ وَالرِّشْوَةِ ﴿وَقَالُوا﴾ أَي الْيَهُودُ ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً﴾ أَي قَلِيلَةً . قَالَ مُجَاهِدٌ : إِنَّ الْيَهُودَ كَانَتْ تَقُولُ : عَمْرُ الدُّنْيَا سَبْعَةٌ أَلْفَ سَنَةٍ فَاللَّهُ تَعَالَى يَعْذِبُهُمْ مَكَانَ أَلْفِ سَنَةٍ يَوْمًا فَكَانُوا يَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْذِبُنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَحِكْمِي الْأَصْمَعِيُّ عَنْ بَعْضِ الْيَهُودِ أَنَّهُمْ عَبَدُوا الْعَجَلَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فَكَانُوا يَقُولُونَ : اللَّهُ تَعَالَى يَعْذِبُنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَذَلِكَ كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَغَيْرُهُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرَفٍ ضَعِيفَةٍ عَنْهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا أَشْرَفُ الْخَلْقِ ﴿أَتُخَذُّمُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أَي خَبْرًا فَإِنْ خَبِرَهُ تَعَالَى أَوْ كَدَّ مِنَ الْعَهْدِ الْمُؤَكَّدَةِ مِنَ الْقَسْمِ وَالنَّذْرِ ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ أَي فَإِنْ اللَّهُ تَعَالَى مَنَّرَهُ عَنِ الْكُذْبِ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ لِأَنَّ الْكُذْبَ صِفَةٌ نَقْصٍ وَالنَّقْصُ عَلَى اللَّهِ مُحَالٌ ﴿أَمْ نَقُولُونَ﴾ مَفْتَرِينَ ﴿عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾ وَقَوْعُهُ أَي أَمْ لَمْ تَتَّخِذُوا مِنَ اللَّهِ عَهْدًا بَلْ تَتَّقُونَ عَلَيْهِ تَعَالَى ﴿بَلَى﴾ تَمْسِكُمُ النَّارُ أَبَدًا ﴿مَنْ كَسَبَ سَكِينَتَهُ﴾ أَي كَفَرًا ﴿وَأَحْطَطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ أَي كَبِيرَتُهُ بِأَنَّ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أَي أَهْلُ هَذِهِ الصِّفَةِ ﴿أَصْحَابُ النَّكَارِ﴾ أَي مَلَازِمُوهَا فِي الْآخِرَةِ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٤٧﴾ أَي لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا . أَمَّا أَصْحَابُ الْكِبَائِرِ غَيْرِ الْكَافِرِينَ فَإِنَّا نَقْطَعُ بِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْفُو عَنْ بَعْضِ الْعِصَاةِ وَعَنْ بَعْضِ الْمَعَاصِي ، وَلَكِنَّا نَتَوَقَّفُ فِي حَقِّ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى التَّعْيِينِ أَنَّهُ هَلْ يَعْفُو عَنْهُ أَمْ لَا ؟ وَنَقْطَعُ بِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا عَذَّبَ أَحَدًا مِنْهُمْ مَدَّةً فَإِنَّهُ لَا يَعْذِبُهُ أَبَدًا بَلْ يَقْطَعُ عَذَابَهُ ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ .

وقرأ نافع «خطيأته» بالجمع، والمراد بالخطيأيات أنواع الكفر المتجددة في كل وقت ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا إِلَّا يَخْرُجُونَ مِنْهَا ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ فِي التَّوْرَةِ ﴿مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ مُوسَى ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ أَي لَا تَشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا .

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة، وقرأ عبد الله وأبي «لا تعبدوا» بصريح النهي وهذه قراءة شاذة. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَتَحْسِنُونَ أَوْ أَحْسِنُوا بِالْبَرِّ بِهِمَا وَإِنْ كَانَا كَافِرِينَ بِأَنَّ لَا يُوْذِيهِمَا الْبَتَّةُ ، وَيُوصَلُ إِلَيْهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ فَيَدْخُلُ فِيهِ دَعْوَتُهُمَا إِلَى الْإِيمَانِ إِنْ كَانَا كَافِرِينَ ، وَأَمْرُهُمَا بِالْمَعْرُوفِ عَلَى سَبِيلِ الرَّفْقِ إِنْ كَانَا فَاسِقِينَ ﴿وَذِي الْقُرْبَى﴾ أَي أَحْسِنُوا بِالْأَقْرَابِ بِصِلَةِ الرَّحْمِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ .